المحاضرة الثانية: المقاومة الوطنية الجزائرية خلال القرن ال19م

أولا: مفهوم المقاومة: هناك تباين واختلاف واحيانا خلط بين الباحثين في توظيف مصطلحات (المقاومة)، (الثورة)، (الانتفاضة) للدلالة على معنى واحد دون استعمال التدقيق في توظيف المصطلحات.

-مصطلح المقاومة (Résistance): هو الاشمل والاعم، وينطبق على أي أسلوب في مواجهة الاستعمار. وتعني المقاومة بشكل أدق من حيث اللغة: مجابهة القوة بالقوة، ومعناها الممانعة وعدم الرضوخ لتغيرات وقوى مفروضة من الخارج، أي مقاومة العدو ومنعه من السيطرة على أرض يملكها أو يسيطر عليها المقاوم.

وينطبق هذا التعريف الدقيق في الجزائر على المرحلة الاولى من المقاومات الشعبية.

-مصطلح المقاومة في كتابات ضباط الجيش الفرنسي: تتفق في غالبيتها مع التعريف الذي جاء به أحد الضباط الفرنسيين في كتابه مصطلح التمرد (الثورة): بأنه انتفاضة منطقة او بلد على الهيئة الحاكمة بالكلمات او الحركات او الافعال.

ثانيا: مظاهر المقاومة الوطنية وروادها بالجزائر خلال القرن ال19م

بعد الاحتلال الفرنسي لمدينة الجزائر العاصمة عام 1830م واجه الفرنسيون صعوبات كثيرة ومتنوعة في الاحتلال والتوسع الى الغرب الوهراني والشرق القسنطيني وذلك بسبب عدة عوامل أهمها:

-الطبيعة الجغرافية التضاريسية الصعبة: وتتمثل في كثرة الجبال وصعوبة اختراقها والتنقل عبرها، خاصة في الشرق القسنطيني، وفي اتساع الهضاب العليا والسهول الى الغرب الوهراني وصعوبة اختراقها.

-بروز الامير عبد القادر والحاج أحمد باي ومقاومتهما البطولية التي دامت 18 سنة في شرقي البلاد.

-صلابة المقاومة وشدتها التي أبداها الشعب الجزائري في سائر أنحاء البلاد، واستمرت قرابة ال 70 عاما الى مطلع القرن ال20م.

حيث اعتصم بمختلف أرجاء البلاد معظم المقاومين الجزائريين الكبار والصغار والبسطاء وذوي الشأن، وتحولت الجبال والهضاب والسهول والواحات الى معاقل للكفاح المسلح طوال سبعين عاما تقريبا.

ثالثا: مراحل المقاومة المسلحة الجزائرية خلال القرن ال19م

مرت المقاومة الجزائرية بمرحلتين أساسيتين:

01/المرحلة الأولى : تدخل في اطار مقاومة الأمير عبد القادر والحاج أحمد باي، في عقدي الثلاثينات والاربعينات، تتصف المرحلة بكثير من التعقيد والتشابك والاضطراب، بسبب الصراع الحاد الذي كان قائما بين رائدي المقاومة الجزائرية (الحاج احمد باي –الامير عبد القادر)، والذي لم يكن في صالح المقاومة الجزائرية.

02/المرحلة الثانية: كانت هذه المرحلة طويلة، امتدت الى حوالي خمسة عقود أو نصف قرن من الزمن، برز خلالها عدد كبير من الابطال والزعماء الذين قادوا جماهير السكان الى الكفاح المسلح، وتزعموا ثورات وتمردات

وانتفاضات ضد جيش الاحتلال الفرنسي. اختلفت في الظروف والوسائل، الطول، القصر، الضحايا، النتائج، ولكن أهدافها كانت واحدة تتمثل في طرد الغزاة الاستعماريين وتحرير البلاد واستعادة حريتها واستقلالها الوطني.

رابعا: مميزات وخصائص المقاومة الجزائرية

-كانت أحداث المقاومة كثيرة ومكثفة في العقدين الاولين (الثلاثينات والاربعينات)، وبعدها أخذت تقل وتتقلص بسبب الضغط الاستعماري المتزايد ماديا وبشريا، وتطبيقه لسياسة التقتيل والطرد الجماعيين، وأسلوب التجويع والتفقير والتجريد من الاملاك العقارية.

-زعماء هذه المقاومات تنقصهم فكرة التخطيط وتعوزهم الاسلحة الكافية والمتطورة على عكس عدوهم، فلم يكونوا يملكون سوى الحماس الديني والوطني كسلاح معنوي، والفؤوس والعصي والخناجر وبعض بنادق الصيد العتيقة كسلاح مادي وهي ضعيفة الفعالية.

-لعب القادة والشيوخ الدينيون خاصة الرحمانيون دورا مهما وبارزا وفعالا في هذه المقاومة، وكانوا يرتمون فيها أفواجا وجماعات دون تردد، من ضمنهم (الشيخ بوزيان، الحاج موسى الاغواطي بالزعاطشة- بن عزوز في واحة البرج- محمد بن عبد الله في توقرت وورقلة والاغواط- الجعدي والحاج عمر في جرجرة، عمر بوعرعور في البابور- بن التواتي وسي الصديق في بالازمة- سي الصادق في الخنقة وبسكرة- الشيخ عايش في العامري- الشيخ محمد امزيان في الحمام بالاوراس- بوعمامة في المقرار الفوقاني والتحتاني واولاد سيدي الشيخ في الابيض سيدي الشيخ و.....)

-لعب الدين دورا بارزا في المقاومة الجزائرية، فارتبطت كل الثورات بشيوخ الدين واعتمدت عليهم في تجنيد الناس لها وحفزهم على حمل السلاح، كون أن الجزائريين في القرن ال 19م كانوا يربطون بين الدين والوطنية خاصة تجاه الغازي الاوروبي المسيحي.

-أن المقاومة الجزائرية في القرن الماضي، وان ارتبطت بأسماء أشخاص وزعماء عائلات كبيرة أرستقراطية في معظمها، الا أن الذين اكتووا بنيرانها وارتموا فيها بصورة جماعية ولعبوا الادوار البارزة والمؤثرة فيها، هم العمال والفلاحون من الطبقات الشعبية الكادحة شيوخا وشبابا، رجالا ونساء، ولم تكن لهم مصالح او امتيازات يدافعون عنها ويضحون في سبيلها عندما حملوا السلاح وثاروا، وانما هو الوازع الوطني الصرف الذي كان ممزوجا بالعامل الديني كذلك، لأن الدين والوطنية شيء واحد عندهم كما هو كذلك في العقيدة الاسلامية.

خامسا: الاستراتيجية الفرنسية للقضاء على الشخصية الجزائرية

اتصف الاستعمار الفرنسي في الجزائر بالقسوة والشراسة في الميدانين العسكري والسياسي، وكان من ضمن اهدافه الكبرى، تحقيق القضاء على بصفة نهائية على الشخصية الوطنية الجزائرية، ومسخ قوميتها العربية الاسلامية.

ومن أهم الوسائل التي استعملها لتحقيق ذلك، تطبيق سياسة الفرنسة بمفهومها الواسع، فألحق البلاد بفرنسا بواسطة تشرع قوانين خاصة لذلك، وعمل على تجنيس الشعب الجزائري وتنصيره، لتحويله الى مجتمع اوروبي مسيحي، واجتهد في هدم أمجاد الجزائر الفكرية والحضارية ومسخها وطمسها.

وقد اشترك في هذه العملية الضخمة والخطيرة عدة فئات من المجتمع الفرنسي، منهم عسكريين ومدنيين ومنهم عدد كبير من الكتاب والمؤرخين القدماء والمحدثين الذين حاولوا بكل قوة وباستعمال الحيل، أن يطمسوا الحقائق والوقائع المتعلقة ببطولة الشعب الجزائري، فشوهوا وزيفوا ما شاؤوا وأصدروا أحكاما باطلة، ومن ضمن وسائلهم في ذلك نذكر نركز على: اهمال الوثيقة الوطنية الجزائرية أو استغلالها استغلالا منحرفا، والاعتماد فقط على الوثيقة الفرنسية (المتحيزة)، في غالب الاحيان، وانحر عن هذا الاسلوب الخطير تغليط عدد كبير من الباحثين والمنصفين الذين كان بامكانهم أن يخدموا الحقيقة ولكنهم ذهبوا ضحية هذا الزيف والتضليل المقصود.